تأثير الصوت من كلام البشر نموذجاً قوله تعالى: إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ

MD. NAZMUL HASAN & MD. MOZAMMEL HOQUE[1]

ABSTRACT

Influence of Sound from the Words of Human Being with Special Reference to al-Quran (31:19)

This article aims to expose the role of sound from people's speech and its effects when they address each other, from the light of the Holy Qur'an and Sunnah. Sound has great importance to convey the message of personal objectives among the people. We speak everyday with our parents, relatives, neighbours and others within our own community and beyond. Consequently, proper addressing with soft sound has paramount benefits. Nowadays many people do not care about this sensitive part, due to the sound intonation sometimes leads to awaken feelings, either positive or negative corner. The Qur'an and the Sunnah give special value in this aspect in the time of conversation with people regardless their religions and tribes even with unbelievers. Allah mentions in the holy Quran when he addressed to Moses and Aaron (peace be upon them): "But speak to him mildly; perchance he may take warning or fear (Allah)" (20:44). This verse indicates to the wonderful style of dialogue with people even if he denies God and does not believe in the Creator of this prolonged universe. Moreover in this paper we will discuss about the impact of sound when they speak with other as well as importance of way for conversation. Apart from that the solution for the negative effects of coarse sounds, in this research we will follow analytical and inductive approach.

Keywords: al-Quran, verbal communication, sound, speech

إنَّ الصوت له دور كبير في حياة الإنسان للتعبير عند الأخرين؛ لأنّ لا نستطيع أن نظهر ما في داخلنا إلا بالصوت والكلام مع الغير، ويحتاج عند المحاورة والمحادثة أن يعبر الكلام بالصوت المتواضع دون رفعها أوْ أن ينظر إلى الموقف والحال ثم الإلقاء على حسب الطلب ولكن الغالب نحن لا نحتاج إلى رفع الصوت بل نستطيع أن نصل مقاصدنا دون رفع الصوت عند الأخرين، واهتم القرآن الكريم والسنة المطهرة هذا الجانب، ونهى عن رفع الصوت عند الكلام والحوار؛ لأن الصوت الرفيع خلاف المروءة والآداب، وهو ليس عادة العالم والمثقف بل هو عادة الجاهلين والمغفلين، والصوت الرفيع له ضرر نفسيا وصحيا، ورافع الصوت

[1] **Md. Nazmul Hasan**, Masters student at Dept. of Quran and Sunnah, Faculty of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia, 53100 KUALA LUMPUR, Malaysia, email: nazmul20082001@gmail.com; **Md. Mozammel Hoque**, Masters student at Dept. of Quran and Sunnah, Faculty of Islamic Studies, Universiti Kebangsaan Malaysia, 43600 BANGI, Selangor, Malaysia, email: mozammel20072013@gmail.com.

لا يضر نفسه فقط بل يضر من حوله وينشئ هذا السوء الظن والفهم بين المخاطِب والمخاطَب ولا يستطيع أن يصل الرسالة كما حقها، وفي هذا البحث المتواضع نتكلم حول هذا الموضوع مع ذكر التوجيهات القرآنية والسنة المطهرة. وسبب النهى عن القول الرفيع مع الغير حتى نحفظ أنفسنا من الضرر، ونستطيع أن نظهر آراءنا عند الغير دون إنشاء أىّ سوء الفهم. والإسْلام دائماً اهتم مصلحة الجانب الشخصى والاجتماعي والأسرى حتى يمكن للناس أن يعيش في المكان الواحد مع الود والمحبة، ولا ندمج أنفسنا في الحرج الذى لا يفضى إلى الخير والفلاح بل له المفاسد والفتن وقلة الآداب، وفي هذه الدراسة نلم بعض الآيات القرآنية والأحاديث مع أقوال العلماء حول موضوع المقالة، وكذلك مع الحل للنجاة عن هذه المشكلة الصوتية عند التعبير مع الغير.

مفهوم الصوت عند أهل اللغة

إذا نتصفح كتب اللغة نجد أن العلماء تكلموا حول هذا اللفظ من جوانب شتى رغم أن أصل المعنى متقارب الأطراف، نذكر هنا بعض أقوال أهل اللغة الذين كان لهم بحث طويل في هذا الميدان، وفي سبيل المثال قال ابن منظور: وهو الصوت الجرس، معروف والجمع أصوات، وقد صَاتَ يَصُوتُ ويَصَاتُ صَوْتًا، وأصَاتَ وصَوَّتَ به كله نادى (Ibn Manzur 7: 435)، وفي المصباح المنير الصوت في العرف جَرْس الكلام والجمع أصوات (al-Fayumi 1424: 210)، إذاً فالخلاصة لمعنى كلمة الصوت هو جَرْس أوْ جَرْس الكلام الذى يحدث عند المحاورة والمكالمة بين الناس.

الصوت من منظور القرآن الكريم

ذكر في القرآن الكريم دور الصوت ومدى اهتمامه عند الحوار مع الآخرين؛ لأن الصوت له تأثير بالغ بين الناس إمَّا إلى جهة الإيجابية أوْ إلى السلبية، وجدير بالذكر أن كثير من الناس لا يعرفون أسلوب المحاورة مع الأخرين وكيفية إظهار الكلمات والجمل عند الإلقاء، والقرآن الحكيم ما ترك هذا الجانب سدى بلْ أدَّب البشرية قاطبة تأديبًا رائعًا بالتشبيه والتذكير لإيقاظ الهمم إلى خطورة هذا الجانب، وفى هذه المقالة المتواضعة نذكر هنا بعض الآيات من القرآن مع أقوال العلماء الكبار حول تلك الآيات حتى تتضح المقاصد والخطاب القرآنية. وقد ذمَّ الله ونهى عن رفع الصوت عند الكلام كما قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (*al-Quran* 31:19)، إذا نتأمل في هذه الأية

الكريمة نجد أنَّ الله سبحانه وتعالى أمر لشيئين في سياق واحد، ثم بالغ في النهى عند ذكر الشئ الثانى وهو الصوت، أمر الله تعالى لتوسط عند المشى وخفض الصوت عند المحاورة ثم شبه رفع الصوت مع صوت الحمير، ذكر الله تعالى عن الاقتصاد والتوسط في المشى ثم ترك بدون ذكر أى تشبيه أو تمثيل،ولكن بعد ذكر الصوت شبه رفع الصوت مع الحمير؛ لأن صوت الحمير أنكر و أبشع، مع ذلك أن المشى السريع لا يضر في أغلب الوقت إلا نفسه وأمّا رافع الصوت لا يضر نفسه فقط بل حوله جميعاً، وفيه الفتن والفساد في المجتمع.

قال صاحب التفسير "البحر المديد" ﴿واغضض من صوتك﴾؛ وانقص منه، أي: اخفض صوتك . كانت العرب تفخر بمجاهرة الصوت، فنهى الله عن خُلُق الجاهلية، فذكره لوصية لقمان، وأنه لو كان شيء يُهَابْ، لرفع صوته لكان الحمار، فجعلهم في المثل سواء. وهو قوله : ﴿إن أنكَرَ الأصواتِ﴾؛ أوحشها وأقبحها ﴿لصوتُ الحمير﴾؛ لأن أوله زفير، وآخره شهيق، كصوت أهْل النار. وعن الثوري: صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار، فإنه يصيح لرؤية الشيطان، وقد سماه الله منكراً، وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير؛ تنبيه على أن رفع الصوت في غاية البشاعة . وقال العلامة الألوسى: الظاهر أن المراد بالغض من الصوت الغض منه عند التكلم والمحاورة، وقيل: الغض من الصوت مطلقاً فيشمل الغض منه عند العطاس فلا ينبغي أن يرفع صوته عنده إن أمكنه عدم الرفع، والحكمة في غض الصوت المأمور به أنه أوفر للمتكلم وأبْسَط لنفس السامع وفهمه، والجملة تعليل للأمر بالغض على أبلغ وجه وآكده حيث شبه الرافعون أصواتهم بالحمير وهم مثل في الذم البليغ والتشمية ومثلت أصواتهم بالنهاق الذي أوله زفير وآخره شهيق ثم أخلي الكلام من لفظ التشبيه وأخرج مخرج الاستعارة، وفي ذلك من المبالغة في الذم والتهجين والإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيبين عنه ما فيه (al-Alusi 1419 chpt. 16, 5:34) .

وذكر العلامة الإمام القرطبي في تفسيره بعض أوْجه حول الأية المذكورة التى تظهر رسالة الأية عند القارئ والمتأمل في كتاب الله، وهى في التالى– أولا: قوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي انقص منه؛ أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي. والمراد بذلك كله التواضع؛ وقد قال عمر لمؤذن تكلف رفع الأذان بأكثر من طاقته: لقد خشيت أن ينشق مُرْيَطاؤك! والمؤذن هو أبو محذورة سمرة بن معير. والمريطاء: ما بين السرة إلى العانة. ثانياً: قوله تعالي: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أي أقبحها وأوحشها؛ ومنه أتانا بوجه منكر. والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه؛ ومن استفحاشهم. ثالثاً: في الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت في المخاطبة والملاحاة بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية. رابعاً: وهذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه

الناس تهاونا بهم، أو بترك الصياح جملة؛ وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك، فمن كان منهم أشد صوتا كان أعز، ومن كان أخفض كان أذل، حتى قال شاعرهم:

جهير الكلام جهير العطاس ... جهير الرواء جهير النعم
ويعد على الأين عدوى الظليم ... ويعلو الرجال بخلق عمم

فنهى الله سبحانه وتعالى عن هذه الخلق الجاهلية بقوله: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أيْ لو أن شيئا يهاب لصوته لكان الحمار؛ فجعلهم في المثل سواء (al-Qurtubi 1384 14: 71-72). ونهى الله تعالى في أية أخرى عن رفع الصوت أمام حضرة رسول الله ولو هذه الأية خصت مع سيدنا رسول الله ولكن العبرة للجميع، أدَّب الله بهذه الأية كيفية الحوار أمام الكبار إمَّا سنا أوْ رتبة أوْ علماً أوْ هيبة. وهى الأية العظيمة التى ذكرت في سورة الحجرات، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. (*al-Quran* 49:2).

تكلم العلماء حول هذه الآية المباركة عدة أقوالٍ، نذكر هنا باختصار بعض الآراء حول الأية. قال فخر الدين الرازى رحمه الله حول كلام الله تعالى ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾ يحتمل وجوهاً، أحدها- أن يكون المراد حقيقته وذلك لأن رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام وهذا من مسألة حكمية وهي أن الصوت بالمخارج ومن خشي قلبه ارتجف وتضعف حركته الدافعة فلا يخرج منه الصوت بقوة ومن لم يخف ثبت قلبه وقوي فرفع الهواء دليل عدم الخشية.

ثانيها- أن يكون المراد المنع من كثرة الكلام؛ لأن من يكثر الكلام يكون متكلماً عن سكوت الغير فيكون في وقت سكوت الغير لصوته ارتفاع وإن كان خائفاً إذا نظرت إلى حال غيره فلا ينبغي أن يكون لأحد عند النبي كلام كثير بالنسبة إلى كلام النبي لأن النبي عليه الصلاة والسلام مبلغ فالمتكلم عنده إن أراد الإخبار لا يجوز وإن استخبر النبي عليه السلام عما وجب عليه البيان فهو لا يسكت عما يسأل وإن لم يسأل وربما يكون في السؤال حقيدة برد جواب لا يسهل على المكلف الإتيان به فيبقى في ورطة العقاب.

ثالثها- أن يكون المراد رفع الكلام بالتعظيم أي لا تجعلوا لكلامكم ارتفاعاً على كلام النبي في الخطاب كما يقول القائل لغيره أمرتك مراراً بكذا عندما يقول له صاحبه مرني بأمر مثله فيكون أحد

الكلامين أعلى وأرفع من الآخر والأول أصح والكل يدخل في حكم المراد لأن المنع من رفع الصوت لا يكون إلا للاحترام وإظهار الاحتشام ومن بلغ احترامه إلى حيث تنخفض الأصوات عنده من هيبته وعلو مرتبته لا يكثر عنده الكلام ولا يرجع المتكلم مع في الخطاب (al-Razi 1421). وقال أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي الأندلسي في تفسيره: وقال تعالى: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول﴾؛ لأنّ في الجهر عدم مبالاة بالمخاطب وظهور استعلاء وعدم تذلّل (Abu Hayyan chpt. 189, 6:36).

الصوت من منظور السنة المطهرة

قد اهتم رسول الله لعدم رفع الصوت ويرغب على الصوت الخفيض، وإذا نتأمل في سيرته المباركة محاورته مع الحاضرين نجد أن رسول الله كان ذا صوت خفيض ما كان صائحًا ولا صخَّابًا في الأسواق، مادام نهى الله عن رفع الصوت وذمّ عن رافعها فالرسول الله أول من اتبع وسلك على هدى القرآن الكريم، نذكر هنا بعض الأحاديث التي ترغب على خفض الصوت عند الكلام، وتنهى عن رفعها عند الحوار مع الأخرين.

ذكر الإمام أحمد في مسنده بسنده المتصل قال: حَدَّثَنَا حَسَنٌ حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ حَدَّثَنِي حُيَيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رسول الله صلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّم قال إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنِهَا مِنْ ظَاهِرِهَا فقال أَبو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ لِمَنْ هي يا رسول الله قال لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ وَبَاتَ لِلَّهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ (Ahmad fi *Musnad*ihi, chpt. Musnad ‘Abd Allah bin Amru bin al-‘As, 1415, Hadith no: 6615, 13:364). مدح رسول الله في هذا الحديث الذين يلين الكلام مع الغير ولا يرفع صوته ولايشدد كلامه بألفاظ ساخفة وجمل قبيحة بل حينما يتكلم يبرز كلامه مع الخفض ونعومة الألفاظ ولا يؤذى شخصًا أخر ولا يجرح قلبه.

ذكر الإمام الترمذي بسنده قال: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا حُمَيْدُ بْنُ الأَسْوَدِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُبَيِّنُهُ، فَصْلٌ، يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ» : «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ»، وَقَدْ رَوَاهُ يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ (Tirmidhi fi *Suna*nihi, chpt. Fi kalam al-Nabi, hadith hasan. Hadith no: 3639,

5:600) أشارت سيدة عائشة الصديقة رضى الله عنها في هذا الحديث المبارك عن طرز الكلام وميزته عند الإلقاء، لا يدل هذا الحديث عن رفع الصوت وخشونه عند الحوار بل يشير إلى أن مطلوب المخاطِب لا يصل عند السامع بسرد الكلام مع إعلاء الصوت، وكان رسول يعرض الكلام بينًا وفصلًا حتى يستطيع يحفظه منْ جلس حوله في مجلس واحدٍ. وقال أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى في شرحه: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتابع الحديث استعجالا بعضه إثر بعض لئلا يلتبس على المستمع، زاد الاسماعيلي من رواية بن المبارك عن يونس إنما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلا فهما تفهمه القلوب (al-Mubarakfuri n.d. 10:85). ذكر الإمام أبو داود في سننه عن وصف كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء بالحديث في سننه بسند متصل قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ مِسْعَرٍ قَالَ سَمِعْتُ شَيْخًا فِي الْمَسْجِدِ يَقُولُ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يقول كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أوْ ترسيل .(Abu Dawud chpt. al-Hadi fi al-Kalam. No. 4198, 12:466)

قال محمد شمس الحق العظيم آبادى عن شرح هذا الحديث: (ترتيل) أي تأن وتمهل مع تبيين الحروف والحركات بحيث يتمكن السامع من عدها (أو ترسيل) شك من الراوي، ومعنى الترتيل والترسيل واحد، وفي بعض النسخ بالواو فهو عطف تفسير . (Muhammad Samsul Haq, *`Awn al-Ma`bud* *Sharh Sunan Abi Dawud* 1415 13:126) ذكر الإمام البيهقى في كتابه وقال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، نا عَبْدُ اللهِ بْنُ حَمَّادٍ الْأَيْلِيُّ، نا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ، نا سَلَمَةُ بْنُ عَلِيٍّ، فَذَكَرَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ مِنَ الرِّجَالِ الرَّفِيعَ الصَّوْتِ وَيُحِبُّ الْخَفِيضَ مِنَ الصَّوْتِ" (al-Bayhaqi, *Sha`b al-Iman*, 1432, No. 8178) . وهذا الحديث يدل دلالة واضحة على كراهية رفع الصوت عند الكلام والمكالمة مع الغير، وهو الموافق مع الأية القرآنية التى ذكرت في سورة لقمان كنصيحة لإبنه الحبيب عن تجربة الحياة الدنيا والمعاملة مع الأخرين في داخل المجتمع وخارجه، وهى التربية المقبولة عند الله تعالى حتى ذكرت في القرآن الكريم عبرة وعظة لجميع البشر قاطبة بغض النظر عن العهود والعصور جيلا بعد جيلٍ، وكيف لا وله فوائد عظيمة للناس في كل المراحل الاجتماعية والسياسية، وبنية أكوان المجتمع لا تستقيم حتى يتدوال هذا العمل بين الشعب، ونتذكر تلك الأية العظيمة في هذا المقام مرة ثانية حتى نتأمل بما فيها من الحكم والمواعظة الحسنة، وفيها قوت روحية وعقلية لأصحاب النهى والألباب، كما جاء في محكم أياته ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

(*al-Quran* 31:19)، وهناك حديث أخر وهو شاهد لحديث الإمام البيهقى الذى ذكر في شعب الإيمان وهو ما ذكر الخطيب البغدادى في كتابه بسنده قال: أَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلْمَانَ النَّجَّادُ ، نَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي الْحَضْرَمِيَّ ، نَا جُبَارَةُ ، نَا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الصَّوْتَ الْخَفِيضَ ، وَيُبْغِضُ الصَّوْتَ الرَّفِيعَ (al-Baghdadi 1423 chpt. Istihbab Khafd Sawtihi 2:52) . يدل كل الأحاديث التى ذكرنا هنا تدل على كراهية رفع الصوت ومنع عن كلام ذو صوت عالى، وهو خارج عن دائرة التربية الإسلامية والمروءة البشرية، ورافع الصوت يحرم من الاحترام والكرامة عن جيرانه وأصحابه الذين يعيشون حوله ولو كان معه علاقة وثيقة ومحبة دائبة منذ الصغار.

التجربة الشخصية عن الصوت الرفيع

نذكر في هذه المقالة عن التجربة الشخصية حول الرفع الصوت ونتيجته البائدة بين الناس، حكى لى صديق ذات يومٍ أنه قال لصديقه أخر " إذهب بأشياءك " وكانت هذه الجملة عند الإلقاء مع رفع الصوت، ففهم صديقه أنه غضب عليه وزجره حتى لا يدخل في غرفته مرة ثانية، وقائل ما أراد هذا ولا يوجد هذا المفهوم في ذهنه بل قال له كالعادى مثل وقت أخر، غرست هذه الجملة في قلب صديقه شجرة الحقد والكراهية، نتيجة عن هذا بدأت من جانبه آثار العداوة والغضب، وأخبر الأخرين عن هذه القصة دون التحقيق والاستفسار منه ثم حدث ما حدث بينهما ثم يتضح هذا السر بعد وقت طويل أن كل ما حدث هنا هو سبب لرفع الصوت وعدم مراعاة الأسلوب التربوى عند الخطاب الأخرين، بعد سماع هذه الحكاية فهمت سرّ كلام رب العالمين، لماذا نهى عن رفع الصوت وشبه الصوت الرفيع مع صوت الحمير وهو أنكر وأوحش للسماع، وصدق مولانا الحكيم في نوره الكريم عند عرض تربيته القويم. وفقنا الله جميعا لاتباع نور القرآن واجعله لنا نورا وحجة يا رب العالمين.

الحل عن الصوت الرفيع

إنَّ الله سبحانه تعالى خلق الناس وأعطى ميزة لكل فرد بشكل مختلف وليس على وتيرة واحدة، إذا نتأمل في داخل مجتمعنا نجد أن صوت الإنْسان ليس سواء بل هو متعدد الأحوال، وفي سبيل المثال بعض الناس ذو صوت عال ولو تكلم بصوت عادى، وفي العكس بعض الناس ذو صوت خفيض لا يصل إلى من

حوله ولو قريب من المسافة، نتذكر صديقنا الحميم محمد غلام الرحمن، درسنا في جامعة الأزهر الشريف في كلية واحدة، وهو ذو صوت رفيع ولو تكلم بدون القوة وإرادة إلى رفع الصوت، ولهذا لازم لكل فرد أن يتفكر قبل المحاورة مع الأخرين، إن كان صاحب صوت عال يخفض صوته، وإن كان دون ذلك أن يرفع صوته على مقتضى المقام، أى يتوسط كلا طرفين حتى تصل الرسالة إلى منْ خاطبه دون إفراط ولا تفريط، وهو المطلوب في الأية الكريمة، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا النهج حتى يفهم من حوله ويحفظ ويدخل في صميم القلوب دون إنشاء أى سوء الفهم والظن، والمطلوب من الكلام هو التعبير عما في داخله عند الأخرين، وهذا لا يحتاج لخشونة الصوت ورفعه، وخير الكلام هو ما تكوّن بالألفاظ المعدودة وهو ذو معان فصيح، إذًا نرفع الصوت إذا كان المقام لرفعه وإلا فلا، وفي سبيل المثال واحد يمشى في الطريق وفي أمامه ثعبان وهو لا يدرى أنه قرُب إلى هذه الخطورة في ذاك الوقت لازم علينا أنَّ نرفع صوتنا لنجاة من ذلك ثعبان؛ لأنّ الحال يرجى هذا، وما فيه أى عيب وذنب، وكذلك في وقت الغضب؛ لأن الغضب يفضى إلى رفع صوت صاحبه، حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا؛ لأن الحال يقتضى هذا وفيه سبب لرفع الصوت ولكن هناك بعض الناس يغضب سريعاً بسبب بسيط وهو ما نهى في الشريعة الإسلامية حتى أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الناس عن هذه الطبيعة الفاسدة وأعطى الأدوية من صيدليته المباركة علاجا لهذا.

خلاصة الكلام عن حل رفع الصوت وخطورته وهو حينما نتكلم لازم علينا أن نلاحظ المقام والمخاطَب، ونسعى إلى التعبير عما في أنفسنا بصوت خفيض ومتوسط حتى لا يجرح القلوب والمشاعر ولا ينشئ العدواة في داخل المجتمع، ولا يقطع العلاقة مع الأب والأم والأصدقاء والأقارب والجيران بسبب عدم مؤهلة التعبير عند الإلقاء، وإذا نحتاج إلى رفع الصوت فهو مسموح عند الشارع، كما في قاعدة الأصولية وهى "إنَّ الضرورة تبيح المحظورات" ونذكر هنا الأية الكريمة التى تدل إلى التوسط في الأمور، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ (*al-Quran* 2:142). بعد هذه الرحلة العلمية المتواضعة يمكن أن نستخرج منه أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال الدراسة، وهى أنَّ رفع الصوت دون الحاجة خلاف الشرع؛ لأن الأية القرآنية تدل على أنّ الصوت الرفيع يفضى إلى الحرج نفسيًا وصحيًا.ويغرس الصوت العالى في القلب سوء الفهم والظن، وهما سببان رئيسيان لقطع العلاقة مع الأصدقاء والأحباب في المجتمع الواحد. وكذلك الصوت العالى مخالف لعادة المؤمنين والمثقفين، وما كانت أسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يتكلم بألفاظ

غليظة،إضافة إلى ذلك أن الصوت العالى سبب من أسباب التلوث الصوت، وله ضرر كثير للناس صحيا ونفسيا باعتبار الدراسة الطبية المعاصرة. وهذا غير مسموح في عين الشريعة الإسْلامية. كما جاء في كتاب الله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ (*al-Quran* 2:202). إنَّ رفع الصوت أحيانًا يؤذى الأخرين، وهو حرام شرعًا، وكذلك يشوش في صلاة المصلى وقارئ القرآن الكريم، وكذلك يؤذى النائم والمريض وغير ذلك من الأمور التى تتعلق مع الحياة اليومية. وهذا غير مسموحٍ شرعًا كما جاء في كتاب الله الحكيم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (33:58). وأخيرًا نحب أنْ نقول إذا نحن نتكلم مع النّاس لازم علينا أن نعبر آرانا وأقوالنا على حسب المقتضى والحال بمعنى إذا كان المقام يحتاج إلى رفع الصوت نرفع أصواتنا وإذا يقتضى إلى خفض الصوت نخفض الصوت.

References

Al-Quran.

Abu-Dawud, Sulayman bin Ishaq. n.d. *Sunan Abi Dawud*. Tahqiq: Muhammad Muhyi al-Din ‘Abd al-Hamid. Beirut: al-Maktabah al-‘Asriyyah.

Abu-Tayyib, Muhammad Shams al-Haq al-Ajim Abadi. 1415. *`Awn al-ma’bud sharh Sunan Abi-Dawud.* Bayrut: Dar al-Kutub Al-Ilmiyyah.

al-Alusi, Abu al-Fadl Mahmud. n.d. *Ruh al-ma’ani fi tafsir al-Qur’an al-`Azim wa Sab’ al-Mathani.* Beirut: Dar Ihya` al-Turath al-`Arabi.

al-Andalusi. n.d. Abu-Hayyan Muhammad bin Yusuf bin Ali bin Yusuf bin Hayyan. *Al-Bahr al-muhit.* n.p.: n.p.

al-Baghdadi, Ahmad bin ‘Ali bin Thabit al-Katib. 1422. *Al-Jami li akhlaqi al-rawi wa adab al-sami.* (Tahqiq). Rafat Sa`d. Al-Mansurah: Dar al-Wafa.

al-Bayhaqi, Ahmad bin al-Hussain bin ‘Ali bin Musa. 1423. *Sha’b al-Iman*. (Tahqiq). ‘Abd al-Ali ‘Abd al-Hamd Jamid. Riyadh: Maktabat al-Rushd.

al-Fayumi, Ahmad bin Muhammad bin Ali. 1423. *Al-Misbah al-munir*. Cairo: Dar al-Hadith.

al-Hasani, Ahmad bin Muhammad bin Mahdi bin Azibah. 1419. *Al-Bahr al-madid fi tafsir al-Qur’an al-Mazid.* (Tahqiq). Ahmad Abd Allah al-Qurasi Raslan & Abbas Jaki. Beirut: Dar al-Kutub al-`Ilmiyyah.

Ibn Manzur, Muhammad bin Mukrim bin Munjir Al-Afriqi Al-Misri. n.d. *Lisan al-`Arab*. (Tashih). Amin Muhammad ‘Abd al-Wahhab & Muhammad al-Sadiq al-Abidi. Beirut: Dar al-Ihya al-Turath al-`Arabi wa Muassat al-Tariq al-`Arabi.

al-Mubarakfuri, Muhammad `Abd al-Rahman bin Abd al-Rahim. n.d. *Tuhfat al-ahwazi bi sharh al-Jami` al-Tirmidhi*. Beirut: Dar al-Kutub al-`Ilmiyyah.

al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad bin Abu Bakar bin Farh. 1384. *Al-Jami’ li ahkam al-Qur’an.* Tahqiq: Ahmad al-Barduni & Ibrahim al-Fuis. Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyah.

al-Razi, Muhammad bin Umar al-Tamimi. 1421. *Mafatih al-ghayb*. Beirut: Dar al-Kutub al-`Ilmiyyah.

al-Saibani, Ahmad bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad.1416. *Musnad al-Imam Ahmad bin Hanbal.* (Tahqiq). Ahmad Muhammad Sakir. Cairo: Dar al-Hadith.

al-Tirmidhi, Muhammad bin ‘Isah bin Surah bin Musa bin Dahhak. n.d. *Al-Jami` al-Sahih Sunan al-Tirmidhi.* (Tahqiq). Ahmad Muhammad Sakir et. al. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-`Arabi.